

توظيف مبادئ التعليم من أجل نجاح العقد التعليمي

د. بوطالية يمينة

جامعة البليدة 2

ملخص:

يتناول هذا المقال أهمية التعليمية في الممارسة البيداغوجية والتي إنتقلت من كونها فعلا يتم بطريقة تلقائية إلى ممارسة مخططة مبنية على أسس علمية مستقا من عدة علوم تساهم كلها في نجاح العقد التعليمي وتحقيق الأهداف التربوية، وتعتبر التعليمية أو الديداكتيك من الفروع العلمية التي ساهمت في مايسمى بالتحويل التعليمي، وعليه قدمنا في هذا المقال مقاربة تحليلية بينا فيها المفهوم الدقيق للمصطلح وعلاقته ببعض العلوم التربوية مع التركيز على دور التعليمية في تحويل المعارف من معارف عالمة إلى معارف متعلمة.

Résumé

Dans le présent article, on a tenté d'étudier les changements qui ont défini la pratique pédagogique de l'éducation comme un acte indirectement à agir en fonction sur des bases scientifiques issus de plusieurs sciences contribuent au développement de l'action éducative et de travail pour atteindre le régime des objectifs de l'éducation, est la didactique des sciences scientifiques qui ont contribué au transfert dite de l'éducation, mais Appelez à beaucoup de discussions scientifiques noté une certaine confusion dans l'utilisation du concept dans la détermination de sa relation avec l'éducation et beaucoup de l'enseignement des sciences, et donc nous avons prévu dans cette approche systémique nous l'avons expliqué à travers la signification exacte du concept par rapport à un certain nombre de la science avec entourant rôle éducatif dans la transformation de la connaissance en exécutable étudiée.

1- علاقة التعليمية بالإبستمولوجيا

منذ أن برزت في الساحة التربوية الديداكتيك (didactique)، سواء في منحاها الفلسفي التقليدي أو في صيغتها العلمية الحالية، إهتمت بتحليل العلاقة بين نمط المعرفة وأساليب المتعلم في اكتسابها، وفرض عليها هذا الاهتمام توثيق الصلة بينها وبين بعض العلوم الأخرى وعلى رأسها الإبستمولوجيا والسيكولوجيا. ويشرح استولفي (Astolfi، 2002) هذه القضية عندما يؤكد أن بروز الديداكتيك بقي مرتبطا بتحليل تفاعلي لمعطيات سيكولوجية وإبستمولوجية، ليتوقف تطور هذا التحليل على الطريقة التي يشغل بها مفاهيمه التي اقتبس بعضها من مجالات قريبة فضع لتعديلات ضرورية وتم وضع البعض الآخر في الإطار الجديد للديداكتيك إن ما جعل الديداكتيك ترتبط بالإبستمولوجيا هو حاجة الباحثين إلى التعرف على البنيات الداخلية للمعارف العلمية والوسائل الموظفة في إنتاجها والكيفية التي تتطور وفقها مفاهيمها ومناهجها. والحاجة إلى ذلك نابعة من ضرورة وضع وتجريب نماذج وبرامج طرق تدريس تستند إلى تحليل إبستمولوجي غير قابل للتجاوز للقيام بالمهام المذكورة .

2- محاولة لتناول المصطلح

منذ ظهور مختلف فروع علوم التربية، والبحث متواصل من أجل عقلنة وترشيد العملية التعليمية التعلمية، واستفادت في كثير من جوانبها، مما وصلت إليه الدراسات والأبحاث في عدد من فروع علوم التربية، خاصة ما يتصل منها بشكل مباشر بالفعل التعليمي وبشروط إنجازه. وهكذا تم استثمار معطيات فلسفة التربية في تحديد هدفية التربية وقيمتها وإمكاناتها وحدودها Alain R، كما تم استثمار معطيات سيكولوجية التربية في تحديد أساليب التعامل مع المتعلم. وتم كذلك استثمار معطيات سيكوسوسيولوجية التربية في رصد الظواهر الاجتماعية في الفعل التربوي، وتم

أيضا استثمار معطيات علم النفس النمو ونظريات التعلم في بناء الوضعيات التعليمية وفي تهيئة المادة العلمية لتلائم مستوى المتعلمين كل هذه الاستثمارات وغيرها انعكست على العمل التعليمي داخل الفصل، فصار لزاما على الدارسين والممارسين لعملية التعليم، أن يتمثلوا عددا من المفاهيم والتصورات التي تستند إليها الممارسة التعليمية على ضوء الديدائكتيك.

فما هو مفهوم التعليمية؟ وكيف يمكن للمدرس أن ينتقل من البيداغوجية إلى التعليمية في ممارسته اليومية؟ وأي معنى للمنهاج الدراسي، من خلال أسسها ومكوناتها، على ضوء الخطاب الديدائكتيكي؟

3- الديدائكتيك وعلم النفس المعرفي:

يرى علماء النفس السلوكيون أن تفسير عملية التعلم لدى الإنسان يتم من خلال الارتباطات الشرطية حيث يتم تخزين البناء المعرفي في الذاكرة، وتنظيم المعلومات الخاصة بالأحداث المختلفة التي مرت بالفرد. وعندما يستقبل المنبهات فإنه يستعيد من الذاكرة ويعطي الاستجابة الموافقة. فالمتعلم يعتمد على البناء المعرفي الذي تلقاه ويسترجعه من الذاكرة ويوظفه وفق الموقف الذي تطلب استدعاء البناء المعرفي، بالتالي فإن الاستجابة تختلف باختلاف طبيعة الموقف التعليمي.

اتباع النظرية المعرفية يعتبرون أن الإشارات الكلاسيكية ينطبق عليه هذا التفسير وأن الفرد يقوم بتخزين الأحداث التي وقعت له في ذاكرته وعند اختباره، يتم استرجاع هذا البناء المعرفي، وتتحدد الاستجابة حسب المعلومات التي تم تعلمها وإخترانها. من هنا كان اهتمام كثير من علماء النفس بالتعلم المعرفي، أي التعلم الذي يصاحبه استثارة الفهم والاستبصار، وتكوين تصورات ذهنية عن الموضوعات المتعلمة.

وأبرز هؤلاء العلماء هم علماء الجشطالت والتعلم بالاستبصار إدراك العلاقات الرئيسية التي يتوقف عليها حل مشكلة ما أو هو إدراك العناصر الكلية التي تمثل مشكلة لها صيغة واحدة، تلك المرتبطة بالحل. وتمثل نمطا من المشكلات التي يتعرض لها الكائن في موقف ما أثناء التعلم، هذا النمط يحدد طرق الوصول إلى حل له. لقد وجد التوجه الجشطالتي سندا كبيرا من المعرفيين وتدعمت بالدراسات الخاصة بالأساليب المعرفية كأنماط متعددة تنتج من البناءات والتكوينات المعرفية المختلفة لدى الأفراد.

4- التعليمية وعلم النفس اللغوي (Psycholinguistique)

لقد كان لأعمال نعوم تشومسكي (Noam Chomsky) حسب علي خليل أبو العنين وآخرون (2004) أثرا كبيرا في إعادة صياغة الكثير من النظريات النفسية في مجالات التعلم والإدراك والتذكر والتفكير وحل المشكلات، فالاعتماد على التحليل المنطقي الرياضي أنتج النحو التوليدي الذي أسس نظريته تشومسكي، حيث بين أن الصيغ اللغوية التي يمكن توليدها لا تقتصر على المستوى الفونولوجي "الصوتي" فقط، بل تتعداه إلى اللغة كنسق منتج، وليس تعلمها وارتقاءها يمكن وصفه ببساطة على أنه مبادئ تعلم إجرائي. فالجمل كالمعادلات الرياضية قد تكتب بأشكال مختلفة مع الاحتفاظ بالمعنى الأصلي، مما يفسر قدرتنا على توليد ما لا حصر له من الجمل المختلفة والأشكال لكل جملة. النحو التوليدي هو وصف للخاصية التجريدية للغة، كما يوضح أيضا "فرض النسبية اللغوية" وهذا ما يدعم فكرة أن لغتنا تؤثر في إدراكنا وفهمنا للحقيقة المحيطة بنا، وهنا يمكن للمعلم والمتعلم على السواء توظيف هذه المبادئ في توليد المعارف وإعطائها صيغ مختلفة ولكن في إطار البناء العام للمعرفة

الذي يبقى الموجه الحقيقي لطرق التدريس وأساليب التقويم وتكوين المفاهيم ونموها.

5- التعليمية المعنى والأدوار البيداغوجية

ارتبطت التعليمية في دراستها بعلم النفس ونظريات التعلم وعلم الاجتماع، وحسب كل من (Françoise R, Alain R) فقد استعارت مفاهيمها من علوم ومجالات معرفية أخرى. وكانت علما مساعدا للبيداغوجية. كما أسند إليها دور بناء الاستراتيجيات البيداغوجية المساعدة على بلوغ الأهداف، أما حديثا فقد تطورت الديدانكتيك نحو بناء مفهومها الخاص بفعل تطور البحوث الأساسية والعملية. وبدأت تكسب استقلالها عن العلوم الأخرى. وأنجزت العديد من الدراسات والبحوث الطابع الديدانكتيكي المهتم بالتفكير في المادة ومفاهيمها، وبناء استراتيجيات لتدريسها.

فالعلاقات التي تقوم بها الديدانكتيكي حسب محمد الدريج (2008) هي تحديد إشكاليات متعلقة بوضعيات التعليم والتعلم حيث المتعلم محور العملية وصياغة فرضيات حولها، ثم تصميم استراتيجيات لاختبارها وفحصها تنتهي إلى تنفيذها وتقويمها. وتتصل هذه العمليات بالوضعيات التربوية وعمليات التعليم والتعلم والطرق والأنشطة والوسائل والمناهج والأنظمة ومفاهيم المادة.

أما القاعدة الثانية للديدانكتيك فترتبط بالفينومولوجيا، والفينومولوجيا مأخوذة هنا بمعناها اللغوي، ويقصد بها دراسة الظواهر الديدانكتيكية، كما تبدو للباحث في الواقع. أي الظواهر التي لها علاقة بالتدريس والتعليم، والتي تتجلى من خلال التفاعلات اليومية بين المعلم والمتعلم. فالانطلاق من هذه الظواهر يساعد على إعطاء الديدانكتيك طابعا أكثر علمية، نظرا لاعتماده على تحليل الوضعيات الديدانكتيكية، أي وضعيات التعليم والتعلم، على هذا الأساس يكون البحث في الديدانكتيك يسير في مستويين:

مستوى أفقي يتناول دراسة الظاهرة التربوية الممارسة كما تبدو للباحث في الظاهر.

6- ديداكتيك المادة الدراسية Didactique de la discipline

إدراج المادة الدراسية ضمن اهتمامات الديداكتيك يهدف إلى إبراز المنظور الديداكتيكي الجديد للمادة الدراسية. وهو منظور لا يقف عند حدود التصنيف السطحي للمادة، وإنما ينتقل إلى مستويات أكثر عمقا وأهمية.

فتغير النظرة التي تعتبر أن المادة الدراسية معرفة مسبقة ونهائية معطاة لنا بهذا الشكل أو ذاك، ولا مجال لتغييرها أو استبدالها، رغم شعورنا بقصورها ومحدوديتها أمام الزحف الهائل من المعارف المتجددة في عصرنا. ويعتبر الشخص المختص، عادة، في مادة من المواد هو المؤهل لتصنيفها. وإدخال التعديلات الضرورية عليها، أي أن انتقاء وترتيب ما ينبغي تعلمه من طرف التلميذ من معارف لغوية إنما هو من شأن المختص في اللغة، وما ينبغي تعلمه في الرياضيات هو من شأن المختص فيها وهكذا. إلا أن هذا النوع من الاختصاص لم يعد كافيا للاضطلاع بمثل هذه المهام، لأن المادة الدراسية هي جزء من ظاهرة تربوية، وأن التعامل معها ينبغي أن يضع في اعتباره معطيات سوسولوجية وسيكولوجية وابتيمولوجية وغيرها، قد لا تتوفر عند المختص في مجال تعليمي معين. لذا يعتبر الديداكتيكي، الذي يتوفر -بالإضافة إلى اختصاصه في مادة من المواد -على معرفة بمجالات معرفية أخرى لها ارتباط بمجال التدريس- يعتبر هو الشخص المؤهل للقيام بهذا العمل.

ولا يمكن على هذا الأساس، تصور أي عمل ديداكتيكيون أن يكون مرتبطا بمادة تعليمية معينة، إلا إذا حاولنا الرجوع إلى ما يسمى بالديداكتيك العامة التي يسعى البعض إلى جعلها مجالا معرفيا يهتم بدراسة العناصر المشتركة بين المواد الدراسية، من حيث تعلمها وتعليمها، وما يرتبط بذلك من مجالات وقضايا. لذا دعا برنارد

جاسمان (2001) إلى القيام ببحوث في الديداكتيك النظرية حول مواضيع مشتركة بين المواد الدراسية، من طرف مجموعات ذات اختصاصات مختلفة.

كما تقرّ تعلّمية المواد بعدم قدرة الطفل على بناء كل معارفه وحده وتقول بأنّه يحتاج إلى المعلّم. وتجعل التعليم في خدمة التعلّم. فالتعلّم هو المحرك للوضعية التعليمية- التعلّمية بجميع أنواعها. فالتعليمية تدرس التفاعلات التي تحدث بين أقطاب المثلث التعليمي التعلّمي (المعلّم + المتعلّم + المعرفة) في إطار مجال مفاهيمي معين (أي داخل مجال مادة مدرسية معينة) . لذلك نقول إنه لا توجد تعليمية عامة بل تعليميات مختلفة باختلاف المواد المدرسية (تعليمية خاصة) : تعليمية الرياضيات وتعليمية التاريخ وتعليمية الفيزياء وتعليمية اللغة وهي تعليميات تختلف بعضها عن بعض من حيث الإشكاليات والتمثيلات. ولعلّ هذه الخاصية هي التي تجعل التعليمية مختلفة اختلافا جذريا عن البيداغوجيا.

7- توظيف معطيات علم النفس في بناء تعليمية فعالة

لقد نظر هانس ايبلي (H. AEBLI) إلى الديداكتيك من زاوية سيكولوجية ألا وهي زاوية التلميذ وقابليته النفسية والعقلية وانعكاسات ذلك على استعداداته للتعلّم، وبالتالي استثمار وتوظيف تلك القابلية بشكل منظم يراعي نمو المتعلّم الجسمي والعقلي. إن الديداكتيك هو علم مساعد للبيداغوجيا، وعليه أن يعتمد كثيرا على علم النفس التكويني كما يقول ايبلي في كتابه "الديداكتيك السيكولوجي" أما غاستون ميلاري فيرى أن الديداكتيك يهتم باللغة وشروط التواصل والاتصال بالعالم الخارجي والمحيط، كما يهتم بمشاكل التعلّم التي هي قطب الرحى في الفعل التربوي، إن دراسة التعلّم هي دراسة الحوافز والاهتمامات والحاجات والرغبات، وهذه مشاكل ديداكتيكية لا يمكن التغلب عليها إلا بمعرفة تخريجاتها السيكولوجية.

ونعتقد أن بناء ديداكتيك "فعال" نافع وملائم يقتضي بالضرورة توظيف معطيات علم النفس الذي يسهم في حل بعض المشاكل العامة للديداكتيك. إن علم النفس بمختلف فروعه، يمد التربية بمعطيات تتعلق بالقدرات العقلية والفروق الفردية وخصائص نمو المتعلم عقليا واجتماعيا ووجدانيا ومهارته الحركية

إن البحث الديداكتيكي لا يمكن أن يستغني عن إنجازات جان بياجى الخاصة بالجانب المعرفي الذي يتكون من بنيات عقلية-معرفية. كما أن النمو العقلي عنده يفيد من الناحية الديداكتيكية حيث يميز بين أربع مراحل رئيسية هي المرحلة الحسية الحركية، ومرحلة ما قبل العمليات الفكرية التي تبدأ في سن الثانية، ومرحلة العمليات الحسية العيانية التي تبدأ في الثامنة ثم مرحلة العمليات الشكلية المنطقية التي تبدأ في سن الثانية عشرة.

إن الديداكتيك هي الدراسة العلمية لتنظيم وضعيات التعلم التي يعيشها المتعلم، لبلوغ هدف أو كفاية معينة، وتتطلب الدراسة العلمية كما هو متعارف عليه شروطا دقيقة منها الالتزام بالمنهج العلمي في طرح الإشكالية ووضع الفرضيات وصياغتها وتمحيصها للتأكد من صحتها عن طريق الاختبار والتجريب، ومن حيث الموضوع تنصب هذه الدراسة على الوضعيات التعليمية التي يلعب فيها المتعلم (التلميذ) الدور الأساسي. بمعنى أن دور المدرس يتحدد في تسهيل عملية تعلم التلميذ بتصنيف المادة التعليمية تصنيفا يلائم حاجاته، وتحديد الطريقة الملائمة لتعلمه، وتحضير الأدوات الضرورية والمساعدة على هذا التعلم. ويبدو أن هذه الاجراءات ليست بالعملية السهلة، إذ تتطلب الاستنجااد بمصادر معرفية مساعدة، كعلم النفس لمعرفة هذا التلميذ وحاجاته، والتربية لتحديد الطرق الملائمة. وينبغي أن يقود التنظيم المنهجي للعملية التعليمية-التعلمية، إلى تحقيق أهداف تراعي شمولية السلوك الإنساني. (أحمد الدريج، 2003) أي أن نتائج التعلم ينبغي أن تتجلى على مستوى المعارف والقدرات

التي يكتسبها المتعلم، وعلى مستوى المواقف الوجدانية، وكذلك على مستوى المهارات الحسية - الحركية، التي تتجلى مثلا في الفنون والرياضات والفيزياء.

وكخلاصة فإن الديداكتيك أو التعليمية أو كما يسميها محمد الدريج بعلم التدريس تشير إلى الدراسة العلمية لطرق التدريس وتقنياته وأشكال تنظيم مواقف التعلم التي يخضع لها التلميذ في المؤسسة التعليمية، قصد بلوغ الأهداف المسطرة تربويا. إن الديداكتيك أو علم التدريس، يجعل من التدريس موضوعا له. فينصب اهتمامه على نشاط كل من المدرس والتلاميذ وتفاعلهم داخل القسم، وعلى مختلف المواقف التي تساعد على حصول التعلم بطريقة فعالة. لذا يصير تحليل العملية التعليمية في طليعة انشغالاته، ويستهدف في جانبه النظري صياغة نماذج معيارية، كما يعني في جانبه التطبيقي السعي للتوصل إلى حصيلة متنوعة من النتائج التي يعبر على مدى نجاح الفعل التعليمي أو ما يسمى بالعقد التعليمي.

المراجع

- 1- محمد الدريج : مدخل على علم تالتدريس، تحليل العملية التعليمية، دار الكتاب الجامعي، الرباط، المغرب، 2003.
- 2- محمد الدريج : التدريس الهادف، دار الكتاب الجامعي، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى، 2004.
- 3- علي خليل أبو العنين وآخرون : تأملات في علوم التربية كيف نفهمها القاهرة، الدار الهندسية للكتاب، 2004.
- 4- نادية محمد عبد السلام: علم النفس التربوي، الطبعة الأولى، المكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص ص 153-195، 1996.
- 5- صالح عبد العزيز: التربية الحديثة، مبادئها وتطبيقاتها العملية، دار المعارف، مصر، الجزائر، 1969.

6- رونييه أوبير ترجمة عبد الله عبد الدائم: التربية العامة، دار العلم للملايين بيروت، لبنان، 1967.

7- أنطوان الخوري: التربية من أفواه رجالها - قديمهم وحديثهم، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1969.

8- فاخر عاقل: التربية، قديمها وحديثها، الطبعة الثالثة، دار العلم للملايين، بيروت،

. 1981

9- Françoise R, Alain R., Pédagogie : dictionnaire des concepts clés : apprentissage, formation, psychologie cognitive, 6^e Ed., ESF, Paris, 2007.

10- Gilbert LONGHI, et Al., Dictionnaire de l'Education, Vuibert, Paris, 2009, p 569.

11- Alain R, Préparer un cours, les stratégies pédagogiques efficaces, Tome 2, ESF, 3e Ed., Paris, 2007, p. 170.

12- Jean Beauté, Courants de la pédagogie, Chronique sociale, 5e Ed, Lyon, 2004, pp. 68-100.